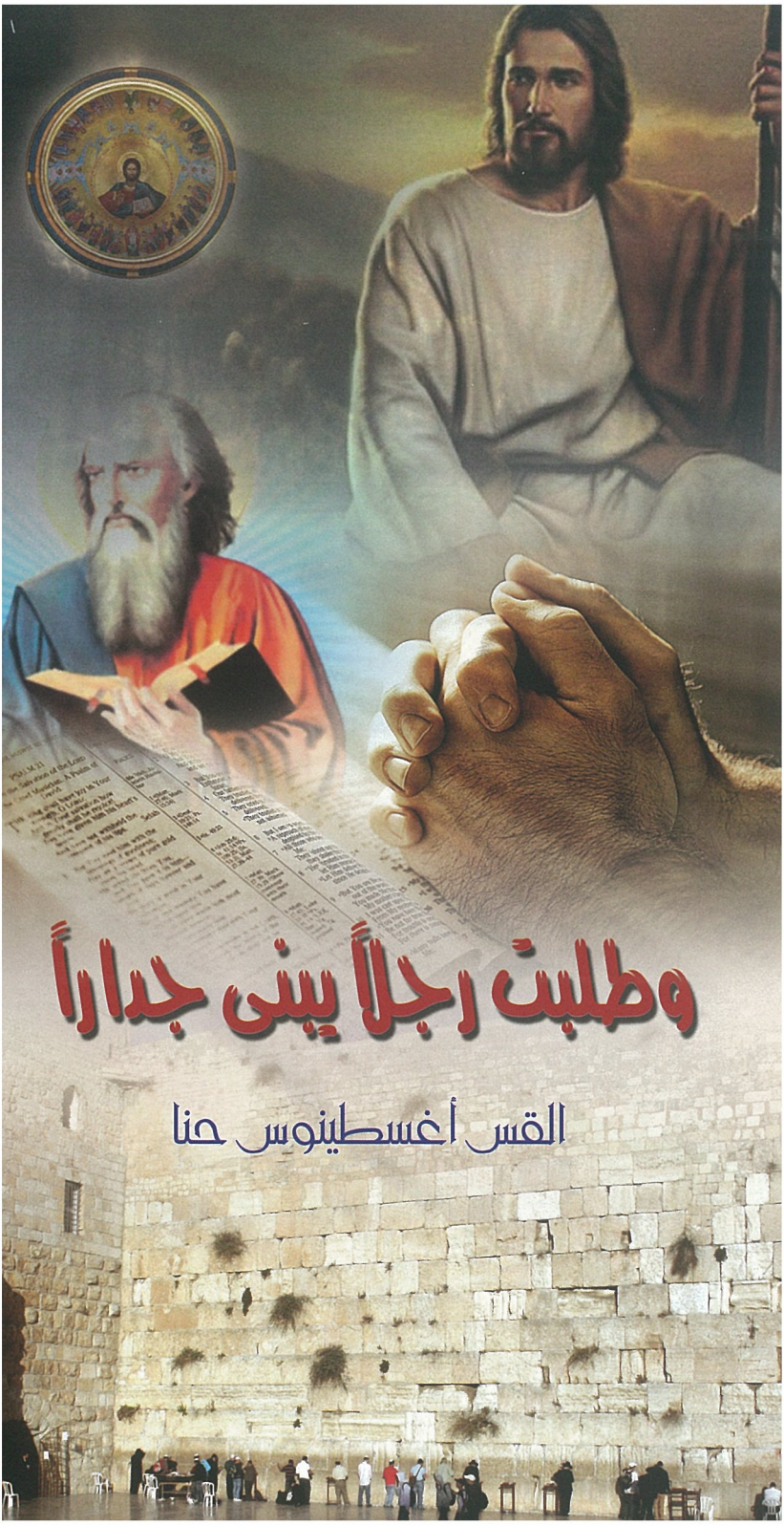

وطلبت رجلاً يبني جداراً

القس أغسطينوس حنا

"وطلبت من بينهم رجلاً يبنى جداراً ويقف فى الثغر أمامى عن الأرض لكى لا أخربها فلم أجد" (حز٢٢ : ٣٠).

العالم غنى برجاله .. رجال العلوم والفنون والأقتصاد والتجارة والحرب. أمّا فى دائرة ملكوت الله فلا زال الصوت الآلهى يُعلن عن أزمة شديدة فى الرجال ويقول **"الحصاد كثير ولكن الفعلة قليلون"** (مت٩ : ٣٧).

"من أرسل ومن يذهب من أجلنا" (أش٦ : ٨).

"وطلبت من بينهم رجلاً... فلم أجد" (حز٢٢ : ٣٠). **"طوفوا فى شوارع أورشليم وأنظروا وفتشوا فى ساحاتها هل تجدون إنسان اً أو يوجد عامل بالعدل طالب الحق فأصفح عنها؟"** (أر٥ : ١).

إن الرجل المطلوب هو الذى يُفضل محبة الله على أية محبة أخرى، وارادة الله على إرادته الشخصية ويُفضل عمل الرب على عمله الخاص وشعاره «نفسى ليست ثمينة عندى» (أع ٢٠ : ٢٤). رجل يضحى بصحته وماله ووقته، له سمعة طيبة وإختبار روحى شخصى وسيرة التقوى - لا صورتها بل قوتها - لا يخلو مكانه فى الكنيسة ويبكى على عمل الله - ويحترق شوقاً لخلاص كل نفس. وبالأجمال «رجل حسب قلب الله يتمم كل مشيئته» (أع١٣ : ٢٢). فهل فى كنائسنا وبين شبابنا هذا النوع؟ وهناك تساؤلان هما:

(١) ما الذى يكوّن الرجل المطلوب؟

(٢) وما العمل الذى ينتظره؟

أولاً - ما الذى يكوّن الرجل المطلوب

١ - الكنيسة:

إذا كان هناك كليّات خاصة لإعداد كل من الطبيب والمهندس والمحامى والمحاسب والسياسى والصحفى والمدرس، فأن الرجل الذى يطلبه الله تكوّنه الكنيسة فى الدرجة الأولى. فالكنيسة تربيه طفلاً عن طريق مدارس الأحد وتعلّمه وتهذبه فى إجتماعات الشباب وتوالى رعايته عن طريق خدماتها المختلفة فى الأفتقاد والأسرار المقدسة من توبة وتناول وقيادة شخصية للنمو فى النعمة والمعرفة خلال الأعتراف وحضور القداسات وإجتماعات درس الكتاب المقدس والصلاة والوعظ والعقيدة وتاريخ الكنيسة وسير وأقوال الآباء ..ألخ.

الكنيسة هى الجامعة بل المصنع الذى يُخرج الرجال العاملين والسيدات العاملات فى كرم المسيح. إنها «عامود الحق وقاعدته» (١تى٣ : ١٥) وهى الأم والمدرسة والمنارة الهادية وفلك النجاة والملجأ أو «الفندق الأمين» (لو١٠ : ٣٤) وبيت الله وباب السماء، ومصنع الرجال والأبطال والقديسين والشهداء وهى التى تتحدى بل تهدّد أبواب الجحيم (مت١٦ : ١٨).

ومساكين هم الذين لا يعيشون فى الكنيسة ولم يهتموا بتربية أولادهم فيها منذ الطفولة، لأنهم يحصدون الشوك والمرارة إذ أنجبوا أولادهم لجهنم كما يقول المثل لهم «أجسام البغال وأحلام العصافير» ويصبحون بلا أخلاق ولا حصانة وفريسة سهلة للشياطين.

٢ - الكتاب المقدس:

وهذا مدرسة أخرى ينبغى أن يتتلمذ فيها الرجل الذى يطلبه الله. أنه كلمة الله «الذهب المُصفّى بالنار» (رؤ٣ : ١٨) وهو «أنفاس الله» .. «روح وحياة» (يو٦ : ٦٣) وهو «الصخر والمرآة» (مت٧ : ٢٤ ، يع١ : ٢٢ ، ٢٣)، وهو «السراج والنور» «سيف الروح» أو«السلاح الدفاعى الهجومى (مز١١٩ : ١٠٥ ، أف٦ : ١٧). أختبره داود النبى فصار يلهج فيه نهاراً وليلاً وقال عنه فى أول مزاميره أنه «مفتاح النجاح والثمر». إن وصاياه جعلته «أحكم من أعدائه ومن معلميه ومن الشيوخ» (مز١١٩) .. أنه كتاب الكتب ونافع للتعليم والتوبيخ للتقويم والتأديب الذى فى البر لكى يكون إنسان الله كاملاً متأهباً لكل عمل صالح» (٢تى٣ : ١٦). إن الرجل الذى يطلبه الله تكوّنه كلمة الله المودعة فى الكنيسة (رو٣ : ٢) فالكنيسة هى التى قننّت الأسفار القانونية وكونت محتويات الكتاب والكنيسة هى التى تفسّر الكتاب التفسير الصحيح لأنه ظهرت فى هذه الأيام الأخيرة آلاف الطوائف والبدع التى تدعى المسيحية وتدعى أنها تحتكم للكتاب المقدس وكلها تخالف بعضها البعض وتخالف الكتاب نصاً وروحاً ولذلك وجب التنبيه أن من أهم ميزات الكنيسة الأرثوذكسية أنها حافظت على وحدة التعليم الكتابى المبنى على فكر الآباء الأولين كما أن وحدة التعليم حافظت على وحدة الكنيسة منذ نشأتها عبر ألفى سنة حتى الآن. وإلى مجئ المسيح الثانى ..

٣ - الأسرة:

أن الأسرة هى «كنيسة البيت» التى ينشأ فيها الإنسان المسيحى ويقضى فيها أكثر وقته فى السنوات الأولى من عمره. فإذا كان الطفل يقضى فى الكنيسة ساعات فى الأسبوع فأنه يقضى فى البيت أياماً وسنوات، ويتعلم فى البيت قاموساً كاملاً من مفردات اللغة خلال الثلاث سنوات الأولى من حياته. ولذا قال علماء التربية ان شخصية الإنسان تتكون خلال الثلاث سنوات الأولى من حياته.

ويتعلم الطفل بالمحاكاة وتقليد والديه فى كل شئ فإذا كانا مؤمنين يصليان ويركعان ويسجدان ويرنمان ويسبحان، فإنه يتعلم منهما الصلاة والركوع والسجود والتسبيح، واذا كانا غضوبين شتامين كاذبين نشأ غضوباً عصبياً شتاماً وكاذباً.

" كان زكريا وأليصابات كلاهما بارين سالكين فى جميع وصايا الرب

وأحكامه بلا لوم" (لو١ : ٦) فلا عجب أن صار أبنهما يوحنا المعمدان" أعظم
مواليد النساء من الأنبياء". وكذلك عندنا مثال صموئيل وتيموثاوس الذي
قيل عنه "وأنك منذ الطفولية تعرف الكتب المقدسة القادرة أن تحكمك
للخلاص" (١تى٣ : ١٥). وأمّا اذا كان الوالدان فاسدان أو بعيدان عن الله
أو حتى مهملين فى تربية أولادهما وتعليمهما فسوف يشبّ الأولاد
والبنات عبيداً للشيطان وفريسة سهلة للمخدرات والجنس والشذوذ
شتامين كذابين ملحدين ولصوص، وهكذا تنتهى حياتهم بالطلاق أ
بالسجن ثم بجهنم الأبدية.

وهذا يُذكرنا بقول البابا شنودة المأثور "ربّوا أولادكم وأدبوهم وإلاّ سوف
يربيكم أولادكم ويؤدبوكم" ! بل نذكر تحذير السيد المسيح المخيف للآبا
والأمهات بأن "من يُعثر أحد هؤلاء الصغار فخير له أن يطوق عنقه بحج
الرحى ويغرق فى لجّة البحر" (مت١٨ : ٦).

إذاً فلنضاعف أهتمامنا بمدرسة الأسرة ونعمل لها مناهج خاص
لتوعيتها وتقويتها ومدّها بالأناجيل والصور وقصص القديسين أبطال
الإيمان وأفلام الفيديو للصغار حتى نضمن سلامة الجيل القادم الذ
هو مستقبل الكنيسة ونعتبر ان أعظم إستثماراتنا هى فى أطفالن
وتنشئتهم فى معرفة الله ومحبته ومخافته والأرتباط بالكنيس
وكلمة الله لإخراج قديسين للمسيح ناجحين فى المجتمع ومحفوظين م
أوبئة هذه الأيام الأخيرة الصعبة.

٤ - الصلاة:

الصلاة هى الصلة مع الله فإن مارس الإنسان كل وسائط النعم
الأخرى بدون الصلاة لم تكن له صلة مع الله. أنها «مقادس العلى
التى تتكشف الأمور على حقيقتها فى ضوئها، وهى عرش النعمة الذ
نتقدم إليه بثقة لنجد رحمة عوناً فى حينه. وصفها القديسون بأنها أ
الفضائل وقالوا "أهتموا بالأم تلد لكم بنين". الصلاة والكتاب المقدس
توأمان سياميان لا ينفصلان وهما الشهيق والزفير لا حياة للمؤم
بدونهما. أن كل أبطال الإيمان والأنبياء، والقديسين وكبار الخدام هم رجا
صلاة. أنها العلّية التى حلّ فيها الروح القدس يوم الخمسين والغرف
الداخلية المفتوحة على السماء والمدرسة التى يتدرج فيها الرجل الذ
يطلبه الله.

٥ - الأختبار الروحى الشخصى:

هناك فرق شاسع بين القراءة عن المسيح أو السماع عنه وبين إختب
معرفته فى القلب والحياة فيه ومعه كل يوم. قال عنه المولود أعمى بعد أ
تقابل معه "كنت أعمى والآن أبصر" وسجد له. وكان موسى متهذباً بك
حكمة المصريين ومع ذلك فأول عمل عمله لخدمة شعبه كان جريمة قت

المصرى. ولكن عندما ألتقى مع الله فى العليقة صار محرراً وقائداً ومشرعاً.

وأختبر الرسول بولس نعمة الله وخصصهما لنفسه بقوله «الذى أحبنى وأسلم نفسه لأجلى .. الذى من أجله خسرت كل الأشياء وأنا أحسبها نفاية». إن المسيحية ليست ديانة أخبار بل ديانة إختبار تجعل الله حقيقة حية فى حياة المؤمن. والخادم هو درجة أعلى من المؤمن العادى ولا جدوى من خدمته ما لم تكن له حياة الإختبارات اليومية الشخصية مع الله.

٦ - الآلام والتجارب:

إن الآلام هى ريح الجنوب الدافئة التى تعطى الفاكهة طعماً ولوناً ورائحة، وهى النار التى تسوى وتطهر وتنقى. إنها المدرسة التى تخرج منها كل القديسين من يعقوب ويوسف وأيوب وداود وبولس بل وأبن الله نفسه الذى قيل عنه «مع كونه إبناً تعلم الطاعة مما تألم به» (عب٥ : ٨). أما النفس التى لم تختبر الألم فينقصها النضوج. ولذلك قال أرميا النبى «مستريح مؤاب منذ صباه وهو مستقر على دُرديه ولم يُفرغ من إناء إلى إناء، ولم يذهب إلى السبى لذلك بقى طعمه فيه ورائحته لم تتغير» (أر٤٨ : ١١).

ثانياً - ماهو العمل الذى ينتظر الرجل المطلوب؟

تحدّد آية الموضوع عملين أساسيين هما:

(أ) «يبنى جداراً ..» (ب) أن «يقف فى الثغر أمام الله»

(أ) يبنى جداراً

١ - يبنى جداراً بينه وبين العالم وشروره

عندما قال الكتاب «لا تحبوا العالم» لم يكن يتحدث عن العالم القديم دون الحديث فالعالم هو العالم والشر هو الشر وليس جديد تحت الشمس. **أن خطايا زمن الطوفان وسدوم وعامورة لم تكن أكثر من خطايا وشرور أيامنا هذه، بل كما قال السيد المسيح أن سدوم سيكون لها فى يوم الدين حالة أكثر إحتمالاً مما لهاذا الجيل. أن محبة المال والذات والشهوات والطمع والظلم والقسوة والحروب الوحشية والأرهاب والقمار والطلاق والمخدرات والإجهاض وزواج المثيل والسكر وجرائم السرقة والقتل والأغتصاب والتفنن فى إرتكاب الدنس والفساد والشذوذ الجنسى والأفلام الفاضحة .. ألخ لهى الأخاد المعاصر والأنكار العملى لوجود الله.** وعلى الرجل الذى يريده الله أن يبنى جداراً وأسواراً وسدوداً عالية بينه وبين الشرور والفجور.

٢ - يبنى جداراً بينه وبين المدنية الكاذبة والرذائل الأجتماعية

أن مايميز شرور وخطايا هذه الأيام الأخيرة إنها تلبس رداء المدنية الحديثة والفلسفة الملتوية وصورة العلم الكاذب الأسم. فالأفلام الخليعة والمفسدة

والصور القذرة الفاحشة والأعلانات العارية والموضات الغبية وتجارة الجنس وتبادل الزوجات فى كثير من البلاد المتقدمة والمبادئ الألحادية وإدمان المكيفات والقمار. وفصل الله وإبعادة عن كل مناحى الحياة كل ذلك يرتكب تحت أسماء جديدة جميلة كالحرية والمدنية والثقافة والديموقراطية والمساواة وخلافه. **أن الكتاب المقدس لا يريد من "إنسان الله" أو الرجل المطلوب أن يسدل ستاراً (يفتح أحياناً ويغلق أحياناً أخرى) وإنما يبنى جداراً منيعاً بينه وبين هذه الأنحرافات والشرور التى تنتشر كالسرطان.**

(ب) يقف فى الثغر أمامى

١ - يقف فى الثغر منذراً

مطلوب ناثان الذى يصوّر بشاعة الخطية لداود ويقوده إلى الندم والتوبة. وأيليا الذى آدان الملك آخاب ووبخه بأنه مكدّر شعب إسرائيل. والمعمدان الذى قال لهيرودس «لا يحل لك» وبولس الذى أرعب فيلكس الواليبحديثه عن البر والتعفف والدينونة. وأثناسيوس الذى وقف ضد آريوس وضد العالم كله.

٢ - يقف فى الثغر أمامى مُصلياً ومتشفعاً

كما تشفع إبراهيم فى سدوم (تك١٨). وكما تشفع موسى من أجل شعبه طالباً أن يمحو الله أسمه أن كان لا يصفح عن الشعب (خر٣٢ : ٣٢). وقد وصف داود ذلك بقوله ان الله كان ينوى إبادة الشعب بسبب خيانته «لولا موسى مختاره وقف فى الثغر أمامه» (مز١٠٦ : ٢٣).

٣ - يقف فى الثغر أمامى شاهداً لحقى

ما أكثر ضلالات هذه الأيام سواء من ناحية الإيمان والعقيدة أو من ناحية الأخلاق وبعض العادات الخاطئة والخطايا والشرور وشبه الشرور. بينما يقول الرب «أنتم شهودى» ويقول «وتشهدون للحق». كما يقول: **"أحترسوا من أن تنقادوا بضلال الناس الأرديا فتسقطوا من ثباتكم"**.

ان الرجل الذى يطلبه الرب ينتظر منه أن يشهد للحق بأمانة مطلقة ولو كلفه هذا قطع رأسه كيوحنا المعمدان. أو رميه فى جُب من الوحل مثل أرميا أو جُب الأسود كدانيال أو تخلى أصدقائه عنه كما قال القديس يوحنا الذهبى الفم **"ان قول الحق ما أبقى لى صديقاً"**.

St. John Coptic Orthodox Church
Covina, California
Tel. (909) 592-8847 - (562) 900-2695
Email: frhanna@mystjohn.org
Website: www.mystjohn.org